بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي)) وفي رواية:((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا)).

يضرب صلى الله عليه وسلم الأمثالَ لأُمَّتِه تقريبًا للمَعاني، وفي هذا الحديثِ يَضرِبُ لنا مَثَلًا لشِدَّةِ حِرصِه على هِدايةِ النَّاسِ، وشَفَقتِه ورَحمتِه، ويقابل ذلك شِدَّة عِنادِ الناس واتِّباعهم لشَهواتِهم، وفي ذلك هَلاكُهم، وهو صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزهم لِيُبعِدَهم عن المعاصي التي هي سَبَبٌ لدخول النَّارِ، وهم يَغلِبونَه ويَدخُلونَ فيها بشِدَّةٍ ومُزاحَمةٍ، كالفَراشِ التي تَتهافَتُ على النَّارِ.

نتلمس من هذا الحديث مصداق قوله تعالى:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ }[التوبة: 128]

شبَّه صلى الله عليه وسلم الكتاب والسنة بالنور المضيء، وأن هذا النور سبب النجاة مِنَ النَّارِ، وشبَّه النَّاسَ وعَدَمَ مُبالاتِهم بكتاب الله وسنة نبيه، وحِرْصَهم على اللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ، بالفَراشِ التي تقتَحِمْ النَّارِ، ويَغلِبنَ المُستوقِدَ على دَفعِهنَّ عن الاقتحامِ، وكما أنَّ المستوقِدَ كان غَرَضُه من فِعْلِه انتفاعَ الخَلقِ به من الاضاءةِ والاستدفاءِ وغيرِها، والفَرَاش لجَهْلِها جعلَتْه سَبَبًا لهلاكِها، فكذلك كان القَصدُ بتلك البياناتِ اهتداء الأُمَّةِ، واجتنابها ما هو سَبَبُ هَلاكِها، وهم لجَهْلِهم جعلوها سبب تَردِّيهم.

فالناس يتفلتون منه صلى الله عليه وسلم بأمرين:

1-إما بترك ما أمر من الهدايات والفرائض والشرائع.

2-وإما بالوقوع فيما نهى عنه من المحرمات.

ولهذا ينبغي لكل من رغب في النجاة والسلامة أن يلزم هديه صلى الله عليه وسلم، فإنه لا نجاة ولا سلامة،

ولا وقاية من الشرور، ولا فوز بجنة عرضها السموات والأرض إلا بلزوم ما كان عليه صلى الله عليه وسلم، موقناً أن كل ما أمرك الله تعالى به فهو لمصلحتك، وكل ما نهاك عنه فهو لوقايتك وحفظك.

قال صلى الله عليه وسلم: ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)).

*من أسباب تفلت الناس الاستجابة لقطاع الطريق إلى الله تعالى، وأصدقاء السوء: فقاطع الطريق هو الذي يقطع الطريق على الذين يتوبون إلى الله تعالى، ويهاجروا إلى الله ورسوله، فيصدهم هؤلاء القطاع عن سبيل الله، ويشوشون عليهم أفكارهم وعقائدهم، ويرغبونهم في طريق الشيطان، قال تعالى:{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [هود: 19]

وأصدقاء السوء، قال تعالى عنهم:{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً}[الفرقان:27-29] وعَنْ أَبِي مُوسَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)).

*ومن أسباب التفلت من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضعف الإرادة والعزيمة، قال تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}[طه:115] وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله تعالى العزيمة والثبات على الحق، فكَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ))، أي :أسألك أن ترزقني الإرادة الصادقة على أن أختار طريق الرشاد وأتجنب طريق المهالك.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: ((وأنا آخذ بحجزكم)) تشبيه بليغ حيث شبه حاله مع أمته وهو يحذرهم من الوقوع في المعاصي ، بحال إنسان آخذ بحجزة آخر يمنعه عن التردي في مكان سحيق ، وذلك الإنسان يحاول التفلت والتخلص من قبضة صاحبه الناصح له، المشفق عليه، فلا يزال يتفلت من يده، حتى يقع في مهلكته.

ومن اللطائف أن بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي في السنة أجرى تجربة علمية للوصول إلى تفسير لظاهرة تعلق الفراش بالنار وانهماكها عليها، ووضعوا لها مصابيح الزئبقية، فوجدوا أن الفراش لا ينجذب

إلى النار لضعف تمييزه، بل ينجذب للأشعة التي تثيره للقيام بعملية التزاوج ويصر عليها، لكنه يفاجأ بمصيره الحتمي بوقوعه في النار.

وكذلك حال العاصين فانجذابهم للنار بسبب غواية الشهوات لهم، هم لا يرون الأشياء على حقيقتها، كالفراش لا يرى النار الحارقة على حقيقتها يراها بشكل مختلف تجعله ينجذب إليها، والمتفلتون من بين يديه تحجبهم رؤية الشهوات والاستمتاع المؤقت بها عن رؤية نار يوم القيامة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين